الباب الأول
ضبط المفاهيم والمصطلحات

سنتطرق في هذا الباب إلى مجموعة من المصطلحات الأساسية التي ترتكز عليها مادة علم التراكيب وتتقارب فيما بينها من حيث المفاهيم، وهي كثيرة، في الحقيقة، نحاول أن نقتصر على أهمها وأكثرها تداولا، فنأخذ مصطلحات: الجملة، الكلام، الكلم، النحو، النظم، التركيب.

أولا- الجملة:

1- الجملة لغة: جاء في لسان العرب: «الجملة من جمل الشيء، جمعه، والجملة واحدة الجمل، والجملة جماعة الشيء، وأجملَ الشيء جمعَه عن تفرقة،... والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، ويقال أجملت له الحساب والكلام»، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان، 32][1]. أي مجتمعا لا مفرقا، وعرَّفها الصِّحاح: الجُمْلَةُ وَاِحَدَةُ الجُمَلِ، وَأَجْمَلَ الحِسَابَ رَدَّهُ إِلَى الجُمْلَةِ[2]. فالجملة في تعريفها اللغوي لا تخرج عن معنى الضم والجمع بعد التفرق.

2- اصطلاحا: تشكل الجملة القاعدة الأساسيَّة الَّتي ينطلق منها كل بناء لُّغوي؛ لأنها الوحدة التي تتمثل فيها أهم خصائص نظام اللغة، وقد اختلف العلماء في تعريفها، لكن يمكن تنسيقه في أنها ما تكوّن من كلمتين فأكثر، وأفاد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وأنها تتكون من عنصرين أساسيين هما المسند والمسند إليه وأنها قد تقتضي بعض المتممات كالحال والتمييز.

ثانيا- الكلام:

جاء في الخصائص: «أمّا الكلام فكلّ لفظ مستقلّ بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك وقام محمد»[3]. وقال الزمخشري: «الكلام هو المركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يأتي إلاّ في اسمين كقولك زيد أخوك وبشر

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، مج1، ص ص685-686.

[2]- الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990، ص198.

[3] - ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ط2، تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002، ج1, ص17.

صاحبك، أو في فعل واسم نحو قولك ضرب زيد وانطلق بكر ويسمى الجملة»[4]. فجعلا الكلام رديفا للجمل.

1- الكلام والكلم: لم يفرق العلماء بين الكلم والكلام، إذ يقصدون بهما معنى واحدا هو تركيب من كلمتين أو أكثر ذات فائدة يحسن السكوت عنها، ولذلك يُعبّر بأحدهما عن الآخر، فقد وظف عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز لفظي الكلم والكلام بمعنى واحد مبرزا حاجتهما إلى النحو، ورأى أن الفكر يتعلق بمعاني الكلم والكلام مرتبطةً بمعاني النحو[5].

2- الكلام والقول: يوضح ابن جني الفرق بين القول والكلام: «قولنا قام زيد، يعدّ كلاما، فإن أدخلنا عليه (إن) إن قام زيد، رجع بالزّيادة إلى النقصان فصار قولا لا كلاما، ألا تراه ناقصا ومنتظرا التّمام بجواب الشّرط»[6]، ويتبيّن من آراء ابن جني، أنّ القول أعمّ من الكلام والجملة، لا يشترط فيه أن يؤدي معنى مستقلا بنفسه، فتكون بذلك الوحدات المفردة والمركبات التي لم تتضمن معنى مستقلا قولا[7].

3- الكلام والجمل: لم يستخدم اللُّغويون القدامى لفظ الجملة بالمفهوم الاصطلاحي، فقد عَّبر بعضهم عنها بمصطلح الكلام، والبعض الآخر فرَّق بينهما، فانقسموا إلى فريقين:

- القائلون بالترادف: وأبرزهم: المبرد (ت285هـ) الذي يعد أول من استعمل مصطلح الجملة في مقتضبه، وسماها أيضا الكلام[8]، وتلميذه أبو بكر السراج (ت316هـ)، وابن جني (ت392هـ) [9]، وعبد القاهر الجرجاني[10]، والزمخشري[11]، وأبو البقاء العكبري[12]، ورأوا أن الكلام هو المفيد لمعناه وهو نفسه الجمل، ودرج على ذلك جمهور النّحاة. حيث لم يُعرف لفظ الجملة بالمعنى الاصطلاحي عند سيبويه (ت180هـ) بل ظهر عند من جاؤوا بعده.

---

[4] – ابن يعيش محمد بن علي, شرح المفصل، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج1, ص18.

[5]– الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989، ط2، ص95.

[6] – ابن جني، الخصائص, ج1، ص18.

[7] – محمد غيتري, التركيب الفعلي العربي دراسة لسانية حاسوبية، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 1998، ص42.

[8]– المبرد أبو العباس محمد، المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1994، ط3، ص ص1-4.

[9] – ابن جني، الخصائص، ج1, ص17.

[10] – الجرجاني عبد القاهر, الجمل، تح: علي حيدر، دمشق، سورية، 1972، ص40.

[11] – محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ص21.

[12]– العكبري أبو البقاء, مسائل خلافية في النحو، تح: محمد خير الحلواني، دار الشروق العربي، بيروت، 1992، ط1، ج1, ص35.

– القائلون بعدم الترادف: وأبرزهم: الرَّضي الأستراباذي (ت686هـ) [13] ، وابن هشام (ت761هـ) [14]، والشَّريف الجرجاني (ت816هـ)[15]، ويذهبون إلى أنَّ الجملة والكلام مختلفان، فالجملة أعم من الكلام، لعدم اشتراطها الإفادة بخلاف الكلام الذي يشترط أن يحسن السُّكوت عليه، فكل كلام جملة وليس العكس. ودقق ابن هشام في ذلك بأن الجملة تقوم على الإسناد سواء أفاد أو لم يفد؛ فالتركيب الإسنادي يسمى جملة، فإن أفاد سمي كلاما.

ويأتي السيوطي (ت911هـ) ليُوفق بين الاتجاهين السّابقين، حيث حدّ الجملة بأنها القول المركب، وجعل أساسها الإسناد مقصودا لذاته أولا، ثم أباح مرادفتها للكلام[16].

ونحن نرى أن منشأ الخلاف يتعلق بوجود تركيب إسنادي أدنى يمثل جزءاً غير مستقل بذاته فلا تتحقق فائدته إلا بلزوم اندماجه في تركيب أوسع، فيكون التركيب الأدنى جملة غير تامة وليس كلاما، والتركيب الأوسع جملة تامة يمكن وصفها بأنها كلام.

أما المحدثون فقد تخلصوا من قيود التفكير الفلسفي ولجؤوا إلى الملاحظة والاستقراء، حيث يرى عبد السّلام المسدّي أن الجملة المستقلة هي أكبر وحدة نحوية في الكلام وتتميز بأنّ أجزاءها تترابط عضويا وأنها لا تندرج في بناء نحوي أوسع منها[17].

وذهب إبراهيم أنيس إلى أن: «الجملة في أقصر صورها هي أقلّ قدر من الكلام يفيد السّامع معنى مستقلاّ بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر»[18]، أما مهدي المخزومي فيرى أنّ الجملة هي الصّورة اللّفظية الصّغرى للكلام المفيد[19]، وعند عبّاس حسن الكلام أو الجملة هو ما تركّب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل[20].

---

[13]– الاستراباذي رضي الدين، شرح الرضي على الكافية، تعليق: عبد الرحمن السيد، بدوي المخنون، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1996، ط2، ج1, ص9.

[14]– ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1991، ج2، ص5.

[15]– الجرجاني الشريف على بن محمد، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيل، القاهرة, 2004، ص70.

[16]– السيوطي جلال الدين, همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ط1، ج1، ص ص49–50.

[17]– عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص6.

[18] – إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978، ط2، ص ص276–277.

[19]– مهدي المخزومي، في النّحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1987، ط2، ص31.

[20]– عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، 1986، ط8، ج1، ص15.

فتلاحظ هنا اتفاقهم على أن الجملة هي وحدة من وحدات الكلام، وتشترط الإفادة، ويختلفون في ضرورة احتوائها على تركيب إسنادي وفي شرط استقلالها الإسنادي عن التراكيب الأخرى؛ أي إنّ فكرة الإسناد ليست لازمة لتشكيل جملة صحيحة.

ثالثاً- النحو:

يعرفه ابن جني (ت392هـ) بقوله: «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره»[21]، ويعنى النحو بمعرفة كيفية تركيب الكلام، وما يعتري أواخر الكلمات من إعراب وبناء، ويعنى بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية، كالذكر والحذف والتقديم والتأخير»[22].

ويأتي الإعراب في مقدمة مهام النحو والتي تحدد طبيعة الوظائف التي تؤديها الكلمات داخل النص، قال ابن جني: «الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول ولو كان الكلام نسقا واحدا، لاستبهم أحدها من صاحبه»[23].

من هنا، فإن مهمة الكلمة في النص تتحدد من خلال إعرابها، وأي تغيير في إعرابها ينجم عنه تغيير في تركيب الجملة وتغيير معنى الكلام، فالنحو إذن، هو المقياس الذي يتبين به صحيح الكلام من سقيمه ونقصانه من تمامه، وهو نظام لغوي يعنى بتأليف الألفاظ في الجملة على وجه من التركيب والنظم الذي أفرغ فيه المعنى.

رابعاً- النظم:

توسع اللغويون حديثا عن أشكال العلاقات بين مكونات الجملة وعن تألفها ونظامها عندما تطرقوا إلى علم المعاني في كتبهم، ويأتي على رأسهم عبد القاهر الجرجاني، ثم من جاؤوا بعده أمثال السكاكي والقزويني.

فقد وضعنا الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز أمام رؤية منهجية فريدة، بدايتها التعليق ونهايتها النظم حيث يقول: «معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها سببا من بعض، والكلم ثلاث اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو

---

[21]- ابن جني، الخصائص، ج1، ص34.

[22]- السامرائي فاضل صالح، معاني النحو، مطابع الحكمة للنشر، بغداد، 1991، ج1، ص5.

[23]-ابن جني، الخصائص، ج1، ص36.

لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما»[24]، ثم تحدث بعد ذلك عن هذه الأقسام الثلاثة مبينا أوجه التعليق في كل قسم منها.

النظم والنحو: يقول الجرجاني: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضي علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[25]، فالحديث عن النظم يعني الحديث عن قوانين النحو في الجملة، فلا بد للكلام من مسند ومسند إليه، وصحة تعلق بعضه ببعض تعتمد على حكم من أحكام النحو ومعنى من معانيه.

خامساً- التركيب:

1- التّركيب لغة: جاء في الصّحاح: «ركّبه تركيبا إذا وضع بعضه على بعض»[26]. وفي اللّسان: «تراكب السّحاب وتراكم إذا صار بعضه فوق بعض،... والمُركّب: الأصل والمنبت؛ إذ تقول: فلان كريم المركب، إذا أردت به كريم أصل منبته في قومه»[27]. وفي القاموس المحيط: «رَكَّبَه تركيبًا: وضَع بعضَه على بعضٍ، فتَرَكَّبَ وتَراكَبَ»[28].

وجاء في المعجم الوسيط: «التّركيب وضع الشّيء بعضه على بعض، وضمّه إلى غيره فيصير شيئا واحدا في المنظر... والتركيب تأليف الشيء من مكوناته البسيطة، ويقابله التحليل»[29]. وفي معجم اللّغة العربية المعاصرة: «التّركيب بمعنى ضَمَّ أجزاءَه المتفرقة ورتّبها وربط بعضها ببعض للحصول على وحدة متكاملة، وركّب الجملة أي ألّف بين أجزائِها»[30].

وفي القرآن الكريم يرتبط التّركيب أيضا بحسن الصنعة، ففي قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ* ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ* فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) [الانفطار، 6، 7، 8] نجد أن لفظ "ركّبك" وُظِّف للدلالة على إتقان صنع الخالق للإنسان، وتسوية خلقته وتعديلها في صورة كاملة بديعة.

---

[24]- الجرجاني, دلائل الإعجاز، ص80.

[25]- المرجع نفسه, ص 64.

[26]- الجوهري، الصحاح، ج1, ص139.

[27]- ابن منظور، لسان العرب، ج5، مادة (ر ك ب)، ص ص294 -297.

[28]- الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط, تح: محمد نعيم العرقوسي, مؤسسة الرسالة, بيروت, 2005, ط08، ج1، ص91.

[29]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2011، ط5، ج1، ص368.

[30]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008، ط1، ج2، ص932.

مما سبق يتضح أنّ التّركيب في اللغة يستقر على مفهوم واحد يقترن بمعان تكاد تنحصر في الضّم، والجمع، والتّأليف، ولا تتحقق هذه المعاني إلاّ فيما كان مشكَّلا من وحدتين فأكثر في لُحمةٍ واحدة متقنة.

2- التركيب اصطلاحا: من المفيد لوضع تعريفه الاصطلاحي أن نتعرّض قبل ذلك للفرق بين التركيب وبعض المصطلحات مثل: التّأليف البناء، الجملة.

أ- التركيب والتأليف: إن ضمّ كلمة فأكثر إلى كلمة أخرى، كَبَعْلَبكّ وغلام زيد، نسميه تركيباً، بخلاف التّأليف؛ إذ يشترط فيه وقوع الألفة بين الجزأين، فهو أخصّ منه وهو تركيب وزيادة[31]؛ والترتيب كالتركيب؛ لكن ليس لبعض أجزائه نسبة إلى بعض، تقدما وتأخرًا، وجمع الحروف البسيطة ونظمها لتكون كلمة[32].

ورغم ذلك لا يبتعد مفهوم التّركيب كثيرا عن مفهوم التّأليف، فابن هشام يقول بأنه: «قول مفيد، وأقل اِئتلافه من اِسمين أو من فعل واِسم»[33]. يعرفه "سيبويه" بأنه: «اجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية»[34]، فالتركيب: «قول مؤلف من كلمتين أو أكثر لفائدة سواء أكانت الفائدة تامة مثل: النجاةُ في الصِّدقِ، أم ناقصة مثل: نُورُ الشَّمْسِ، الإِنْسَانِيَةُ الفَاضِلَةُ، إنْ تُتْقِن عَمَلَكَ»[35]. ويفهم ممَّا قيل أنَّ التركيب تأليفٌ وضمٌّ ورَصْفٌ واجتماعٌ بين كلمتين أو أكثر مع تأدية الفائدة، وسواء هذه الفائدة تامة أم ناقصة فهي شرط ضروري للتركيب التَّام.

ب- التركيب والبناء: التّركيب هو نفسه البناء، فهما تعليق عنصر بآخر، والجملة هي الخلية الدلالية المركّبة من وحدات متماسكة بنويا، «وأي جملة مهما بدت بسيطة أو مركبة تتكون بطبيعة الحال من هذه الوحدات المجزّأة الأولية»[36].

وهكذا فالتركيب اللغوي هو جمع لمكونين فأكثر من المورفيمات أو الكلمات الإفرادية، مع شرط تأليف بنياته وفق قواعد لغوية ووجود الإفادة في الدلالة على معنى تام، وكلّ تغيير يمس

---

[31]- الفاكهي عبد الله بن أحمد، شرح كتاب الحدود في النحو، تح: أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993، ط2، ص76.

[32]- الجرجاني الشريف، معجم التعريفات، ص98.

[33]- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص10.

[34]- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص134.

[35]- الغلاييني مصطفى، جامع الدروس العربية، مراجعة: عبد المنعم خفاجة، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2010، ط1، ج1، ص8.

[36]- المسدي عبد السلام، قضية البنيوية، دار أمية، تونس، 1991، ط1، ص64.

أحد مستويات البنية يؤدّي إلى تغيير دلالتها من صورة إلى أخرى. وقد تجاوز مفهوم التركيب مستوى بنية الجملة إلى بنية الكلمة ذاتها خاصة عند الدمج بين جزأين متفرقين لتشكيل كلمة واحدة، نحو: صلدم المنحوتة من صلد وصدم.

ج- التركيب والجمل: التَّركيب هو الجمل، لأنَّ الكلمة المجرَّدة من التَّركيب تبقى مبهمة لا معنى لها، وأشار ابن مالك بقوله: «كاستقم» فهذه الجملة مركَّبة تركيبا إسناديًّا، حيث تكوَّنت من فعل وفاعل[37]. وعلّق اِبن يعيش قائلا: «وإشارة (هذا) إلى التّركيب الذي ينعقد به الكلام، ويحصل منه الفائدة، فإنّ ذلك يحصل إلا بِاسمين وبهذا المعنى يكون التّركيب عند النّحاة مساويا لتعريف الجملة»[38]، وذلك لأن التَّركيب نوعان: تركيب إفراد وتركيب إسناد، الأوّل أن تركّب كلمتين بحيث تكوِّنان كلمة واحدة تفيد معنى واحدا مغايرا عن معناها منفصلتين ويكون في الأعلام نحو: حضرموت، والثّاني تركيب إسناد وهو الكلام المركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، كإسناد اِسم إلى اِسم أو فعل إلى اِسم.

د- علم التراكيب: مما سبق يتبين أن علم التراكيب يدرس العلاقات داخل نظام الجملة وحركة عناصرها وانسجامها في نطاق تام مفيد، ونظام الكلمات من حيث بنيتها وترتيبها داخل الجملة، وأضرب ترتيبها وعلاقة كلّ كلمة بالأخرى، فالزّيادة في المبنى زيادة في المعنى، وكلّ تحول في البنية يؤدّي بالضّرورة إلى تحول في الدّلالة.

---

[37]- إبراهيم قلاتي، قصة الإعراب (إعراب الجمل)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص ص7-8.

[38]- ابن يعيش، شرح المفصل، ص206.